من تراب الطريق ! (٦٩٣)

يوم الأحزان (*)

لم أكد أتلقى ظهر الاثنين ١٦ يونيو ، خبر مقتل ابن ابن خالى : النقيب الشاب مصطفى محسن محمد نصار ، على يد الإرهاب ، حتى تلقيت فى المساء خبر رحيل صديقى الإذاعى الرائع ، والإنسان الأروع : وجدى الحكيم .

ابن ابن خالى انتزعه الإرهاب من حضن أبيه وأمه وأسرته ، ليرديه قتيلاً - وهو يؤدى واجبه - فى أعز سنوات شبابه ، بأعمال مجنونة يشوه بها الإرهابيون وجه الإسلام باسم الإسلام .. تدنت ممارسات الإرهاب إلى ما لم تتدن إليه ممارسات الوحوش فى الغابات .. الحيوان لا يقتل من فصيلته ، بينما يخوض الإرهابيون ويلغون فى دماء بنى جلدتهم ، يقتلون النفس التى حرم الله قتلها مدعين أنهم يقتلون باسم الإسلام ، ويتنادون وهم يعملون القتل فى الإنسان بعبارة « الله أكبر» ناسبين هذا القتل الغادر الوحشى إلى الإسلام ، فلا يكتفون بقتل المسلمين وغير المسلمين ، وإنما يشوهون الإسلام الذى يتشحون - كذبًا - به ، ويصورونه للدنيا - بهذه الجرائم المنكرة - على أنه دين يلغ فى الدماء ، ويبيح القتل والإهلاك فضلاً عن الحرق والتدمير ، ويحول الأسرة الإنسانية إلى عالم من الوحوش يقتل فيه الإنسان أخاه الإنسان ، ويستبيح دمه ، وباسم الدين الذى مهجته السلام ، واسمه

(*) المال فى ٢٠١٤/٦/١٩

منحوت من لفظ السلام ، وتحيته السلام ، جعله الله تحية وأمانًا للناس ، حتى ليقول الرحمة المهداة ـ عليه الصلاة والسلام : « السلام قبل الكلام » .. « لا تؤمنوا حتى تحابوا .. ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم » .. المحبة والسلام روح الإسلام وعطره ، والسلام اسم من أسماء الله الحسنى ، وتحية الله للمؤمنين يوم يلقونه هى السلام « تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا » ، ومستقر الصالحين فى الآخرة ، دار أمن وسلام ، فيقول السلام المؤمن المهيمن ـ عز وجل : « وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ » .. « لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ، وأهل الجنة لا يسمعون لغوًا من القول ، ولا يتحدثون بغير السلام : « لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ تَأْثِيمًا إِلا قِيلاً سَلامًا سَلامًا » .

مفارقة عجيبة أن يتنادى القتلة ، وقت القتل وسفك الدماء ، بذكر الله، ويذكرون اسم الجلالة ، وهم يرتكبون أحط الجرائم التى نهى عنها الحكم العدل جل شأنه ، فلا يعرفون ما معنى ما ورد بالقرآن المجيد « وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ » ويدنسون الدين الذى ينسبون أنفسهم إليه ويتشدقون به حين يتصايحون « الله أكبر » ، كأنهم يذكرون اسم الله ـ عز وجل ـ على ذبيحة من بهائم الأنعام !

لا أجد ما أعزى به نفسى ، أو أعزى به أب الشهيد وأمه وأسرته ، إلاّ أنه عند الله ـ تبارك وتعالى ـ شهيد ، حتى ولو كره الكارهون الذين حلا لهم أن يطلقوا لقب « الشهيد » على القتلة والمدمرين والبلطجية والجانحين الذين أعملوا فى أرواح المصريين قتلاً وسفكًا ، وأعملوا فى مرافقها الحرق والسلب والنهب والتدمير . من يُقتل من هؤلاء وهو يقارف هذه الجرائم

النكراء هو عند هؤلاء شهيد ، أما من يُقتل من الجنود والضباط وهو يؤدى واجبه ويذود عن أهله وحياض بلده ومرافقه العامة ، فلا هو بشهيد ، ولا يجوز تنسيبه إلى عالم الشهداء ! هذا مُسَمَّى قاصر فى نظرهم ويجب فى ضلالهم أن يكون مقصورًا على القتلة وسافكى الدماء ، حتى عَزَّ على إحدى المذيعات فى حوار فى ٦ فبراير ٢٠١٢ ، أن تقر بأنه شهيد - من يُقْتَل وهو يدفع عن قسم أو مركز الشرطة هجمات البلطجية والجانحين الراغبين فى حرقه وسرقة السلاح منه !

إلى الأم المكلومة الثكلى ، وإلى الأب المكلوم ، اللذين احترق قلباهما على فلذة كبدهما الذى اختطفه رخ الإرهاب ، أقول لهما لا تقنطا من رحمة الله ، فابنكما وإن رغمت أنوف الإرهابيين وتجار الإعلام، هو عند الله شهيد، فيه وفى أمثاله ممن بذلوا أرواحهم قيامًا بواجبهم فى سبيل الله . يقول - عز وجل - فى قرآنه المجيد : « وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ » .

* * *

وإذا كان قتل الشهيد مصطفى محسن نصار ، قد استحضر بعضًا من المعانى العامة حول ما بتنا نعانيه فى بلدنا التى كانت على الدوام واحة للأمن والأمان ، فإن رحيل وجدى الحكيم ، قد فجر فيضًا من الذكريات امتدت لأكثر من نصف قرن ، كان فيها وجدى الإذاعى الرائع ، والإنسان الأروع، وشحنة العطاء والوفاء بلا حدود .

كان وجدى الحكيم قصة حياة ، عمادها المثابرة والاجتهاد ، فقد أراد أن يكون ، فكان .. وأعرف كم واجهته من مقاومة ظاهرة ومستترة ، وكيف أنه مضى يشق طريقه رغم كل الصعاب .. والجميل فيه أنه لم يفقد دماثته ، وظل حياته كلها متحليًا بفضيلتىْ النجدة ، والوفاء .

فى « صوت العرب » عرفته فى أول الستينيات ، نجمًا فى مراقبة المنوعات ، محوطًا بمجموعة صاروا من بعد نجومًا بصوت العرب ، وبالإذاعة ، ومنهم من فاته فى حسابات المناصب والدرجات .. ولكنه انفرد بما لم يطاوله فيه أحد .. فقد كان ذا شخصية جاذبة ، وصاحب موهبة فنية وإذاعية متميزة ، فترجم ذلك عن عطاء عريض ونادر فى المصنفات التى هى جوهر العمل والعطاء للإذاعة.. وأتاح له اقترابه من نجوم الفن ، أو اقترابهم منه ، أن يحيط بثروة عريضة عن حيواتهم وتضاعيف ومنحنيات مسار كل منهم ، ومواضع تميزه فى فنه ، فحاز عن جدارة أنه صندوق لأسرار معظم الفنانين الذين عاصرهم وعاصروه ، ولكن هذا الصندوق كان مددًا لعطاء عريض وموصول لشتى مصنفات الأعمال الإذاعية ، البرامجية ، والدرامية .. قدم مسلسلات لحياة كبار النجوم .. لأم كلثوم ، ولعبد الحليم حافظ ، ولغيرهما. وكانت علاقته بالعندليب الأسمر عبد الحليم علاقة عريضة ، أتاحت له كنوزًا عرف كيف يفيد منها الفن الجميل الذى ظل وجدى الحكيم وفيًا له طوال حياته .

لم ينقطع من العمل لحظة من حياته ، فكان فياض الإنتاج فياض العطاء، وكان من جماله أنه لم يعز نفسه ولا حجب خبراته عمن يطلبها من أجيال الإذاعيين ، فكان نهرًا دافقًا لا ينقطع فيضانه ، ولا يتوقف مدده .. جاءنى

من أسابيع ليستشيرنى فى عقد عن إنتاج حياة عبد الحليم حافظ بالصوت والصورة ، فلا تحس وأنت تحاوره إلاّ أنه لا يزال الشاب وجدى الحكيم العاشق حتى النخاع لعمله .

ومع أنه حرم فى عمره الوظيفى من درجات كان من حقه أن يبلغها ، إلاّ أن موهبته وتميزه وخبرته ، فرضوا أنفسهم وهو على المعاش بعد أن خرج من موقعه الوظيفى ، فكان عضوًا دائمًا ومؤثرًا فى لجان الموسيقى والغناء ، وتبوأ عن جدارة واستحقاق رئاسة لجنة التراث باتحاد الإذاعة والتليفزيون .

كان لآخر يوم فى حياته ، يواصل تحضيراته النهائية ببدء تسجيل برنامج جديد بعنوان : « نجوم زمان قالوا لى » .. يتناول فيه حكاوى وتصريحات نجوم زمن الفن الجميل محمد عبد الوهاب ، وأم كلثوم ، وعبد الحليم حافظ، وفريد الأطرش ، وكامل الشناوى ، ونزار قبانى ، وأحمد رامى ، ومرسى جميل عزيز ، ومأمون الشناوى ، وهدى سلطان ، وسعاد حسنى ، وهند رستم وغيرهم ..

وفاء وجدى الحكيم وفاء نادر فى زمن انعدم فيه الوفاء ، تجلى فى وفائه لمن رحلوا عن الدنيا ، ولم يعد يُرجى من ورائهم نفع ولا فائدة .. ظل وفيًّا لذكرى الإذاعى الكبير سعد زغلول نصار ، لا تمر فرصة إلاّ وينوّه على موجات الأثير بما تمتع به من إمكانيات نادرة متميزة فى الصوت وفى شتى صنوف الأعمال الإذاعية ، فضلاً عن الكتابة والتأليف ، حاملاً له أجمل الذكريات .

فى آخر عام ١٩٧٦ ، عندما استقلت من الخدمة بالقضاء العسكرى بالقوات المسلحة ، لأعود إلى المحاماة ، لم يكن معى ما أستطيع به أن أدبر

شراء مكتب لممارسة المحاماة فيه ، وإذ بوجدى الحكيم ولم يكن بينى وبينه أى معاملات مادية ، يتقدم ليقرضنى ـ وبلا إيصال ـ ما استطعت به أن أشترى الشقة التى لاحت لى ، تاركًا لى مواعيد وطريقة السداد .

ظلت الصداقة بينى وبينه ممتدة ، لا تهن آصرتها مهما أعاقت الظروف، ألجأ إليه بالسؤال عما أريد استطلاعه حين أريد ، ويمنحنى ثقته فى كل ما يعرض له من مشكلات ، أو يصادفه من أعمال يحتاج فيها إلى مشورة قانونية وإنسانية .

أتاحت الندوة الشهرية التى أعقدها بمنزلى ، للأدباء والمفكرين والكتاب والإذاعيين ، أن نلتقى معًا وسط صحبة منهم من نجوم الإذاعة ، فهمى عمر ، وأمين بسيونى ، وصلاح عويس ، ومحمد مرعى ، ومحمد الخولى ، وعبد الوهاب قتاية ، وكامل البيطار ، وأمينة صبرى ، ونبيلة مكاوى ، وآخر العنقود عبد الرحمن رشاد رئيس الإذاعة الحالى . كان وجدى الحكيم هو الحاضر وإن غاب أو حالت سفرياته المتعددة للدول العربية دون اللحاق بالندوة . فى الندوة قبل الأخيرة أتحفنا بوجبة فنية دسمة رائعة ، وكنا على موعد بوجبة أخرى طلب منى إخفاءها لتكون مفاجأة للأصدقاء أعضاء الندوة . بيد أن المفاجأة أتتنى بخبر مرضه ، فلما اتصلت به تليفونيًّا ، وجدت البسمة لا تزال فى صوته ، والأمل يحدوه وهو يخبرنى أنه سيسافر إلى لندن لمزيد من الفحص والعلاج .

دهمنى خبر رحيله ، فأحسست أن قطعة منى قد رحلت ، وفارقت الحياة.. فكتبت لفورى أنعى نفسى لنفسى على صفحتى بالفيس بوك .

نعم ، فقدت برحيل وجدى الحكيم عن دنيانا أحد أصدقاء العمر النادرين . فقدت بفقده وفقدت الإذاعة والفن بعامة - نهرًا فياضًا لم ينقطع قط عن العطاء المتميز الوافر .. فقدت بفقده دفء الصداقة الإنسانية ، والدماثة الباسمة ، والمساندة وقت الشدة ، والكفالة بلا منٍّ ، والوفاء المعطاء للأصدقاء والأحباب ، والنكهة الجميلة التى تعطى مذاقًا للحياة .

عزائى ، أنه فراق إلى لقاء فى رحاب الوارث الباقى ، فكل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .

أسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ، وأن يلهم زوجته وبنيه ، ومحبيه، الصبر والعزاء ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

* * *